الضبط الاجتماعي في سورة الحجرات – دراسة سوسيولوجية تحليلية

الدكتور عبد الوهاب علي مؤمن*

مستخلص

هدفت الدراسة إلى تحليل الضبط الاجتماعي في سورة الحجرات من خلال الكشف عن الآليات القرآنية التي تسهم في تنظيم السلوك الفردي والجماعي، وتعزيز التماسك الاجتماعي، والحد من مظاهر الانحراف داخل المجتمع. وقد سعت الدراسة إلى إبراز الكيفية التي عالجت بها السورة القضايا الاجتماعية الحساسة، مثل سوء الظن، والغيبة، والسخرية، والتجسس، والنزاع، بوصفها مداخل تهدد الاستقرار الاجتماعي. واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، حيث تم تحليل آيات سورة الحجرات ذات البعد الاجتماعي، وربطها بمفهوم الضبط الاجتماعي في علم الاجتماع، مع الاستفادة من التفاسير القرآنية والدراسات السوسيولوجية العربية. وتوصلت الدراسة إلى أن النهي عن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب وسوء الظن والتجسس والغيبة استهدف حماية الثقة الاجتماعية ومنع تفكك الروابط بين أفراد المجتمع، كما توصلت الدراسة إلى أن سورة الحجرات شكَّلت منظومة متكاملة للضبط الاجتماعي عالجت السلوك الفردي والجماعي في آنٍ واحد. وأوصت الدراسة بضرورة توظيف مضامين سورة الحجرات في المناهج التعليمية وبرامج التنشئة الاجتماعية، لتعزيز ثقافة الضبط الذاتي والمسؤولية الاجتماعية. كما أوصت بضرورة توظيف الضبط الاجتماعي القرآني في معالجة قضايا معاصرة مثل التنمر وخطاب الكراهية والتفكك الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: الضبط الاجتماعي، سورة الحجرات، التماسك الاجتماعي، سوسيولوجيا، دراسة تحليلية

*أستاذ علم الاجتماع السياسي المشارك، وعضو اللجنة الوطنية للتعليم العالي في الصومال

Abstract:

The study aimed to analyze the social control in Suratu Al-Hujurat through discovering Quranic mechanisms that contribute to organize personal and social behavior, as well as in emphasizing social cohesion, and limiting manifestations of deviant behavior within society. The study sought to elucidate the manner in which the Surah addresses sensitive social issues—such as suspicion, backbiting, mockery, spying, and conflict—by conceptualizing them as critical entry points that threaten social stability and undermine social cohesion.

The study relied on the descriptive analytic Methode, that is to analyse the verses (Ayaat) of Suratu Al-hujurat in a socially beyond, and linking them to the conceptions of the social control in social science as well as benefiting from the Quran interpretations (Tafaasir) and Arabic sociological studies.

The study reached that warning from the mockery, slander, name calling, bad judgment, (suspicious), spaying, and backbiting, targeted to protect the social trust, as well as preventing social fragmentation.

The research also concluded that Surat Al-hujurat, formed an integrated system of social control, which addressed individual and group behavior simultaneously.

The study recommended the systematic integration of the themes and values of Surat Al-Hujurat into educational curriculums and socialization programs, with the aim of fostering a culture of self-regulation and social responsibility. It also recommended the importance of employing the Qur'anic framework of social control in addressing contemporary societal challenges, such as bullying, hate speech, and social fragmentation.

Key words: **social control, Surat Al-hujurat, Social Cohesion, Sociology, Analytic Study**

مقدمة

يؤدي القرآن الكريم دورًا مركزيًا وعميق الأثر في ضبط السلوك الاجتماعي للأفراد وتنظيم العلاقات بينهم، إذ يشكل مجموعة من القيم والمبادئ والتعاليم التي توجه الحياة الاجتماعية، وتعمل على تعزيز التضامن والتكافل الاجتماعي، وتقوية الروابط بين أفراد المجتمع، بما يضمن تحقيق استقرار النظام الاجتماعي واستمراريته (العيس، 2024). ويعد علي أنه أحد أقوى وسائل الضبط الاجتماعي وأكثرها تأثيرًا، نظرًا لقدرته على التأثير في السلوك الفردي والجماعي من خلال الضوابط الأخلاقية والمعايير التي يفرضها، والتي تحدد ما هو مقبول اجتماعيًا وما هو مرفوض، الأمر الذي يضمن توافق الأفراد مع البيئة الاجتماعية التي يعيشون فيها.

وقد حاول العديد من الباحثين دراسة دور الدين في ضبط المجتمع، ومن أبرزهم عالم الأنثروبولوجيا راد كليف براون، الذي أشار إلى أن الدين في المجتمعات البدائية والحديثة يمثل وظيفة اجتماعية بالغة الأهمية، إذ يعمل على خلق روابط معنوية وروحية بين الأفراد، ويعد وسيلة للتعبير عن الارتباط بسلطة عليا تمارس تأثيرها الأخلاقي والروحي في ضبط السلوك الفردي والجماعي .(Brown, 1961) ويكمل هذا المنظور القرضاوي الذي أكد أن الدين يهدف إلى تحقيق التماسك الاجتماعي والترابط بين الأفراد، ويظهر ذلك من خلال ممارسة الشعائر الدينية الجماعية، والاعتراف بالمقدس كعنصر محدد لأنماط السلوك المقبولة والمرفوضة داخل المجتمع، ما يجعل الدين أداة فاعلة للرقابة الاجتماعية غير المباشرة

وفي السياق العربي والإسلامي، سلط ابن خلدون الضوء على العلاقة الوثيقة بين الدين والسياسة وأثرها في الضبط الاجتماعي، مشيرًا إلى أن الدين هو الشرع المنزل من الله الذي يحدد واجبات الأفراد وحقوقهم، بينما السياسة تهتم

بمصالح الأفراد وحفظ استقامة النظام الحاكم. ويبرز ابن خلدون أن الدين، إلى جانب القانون والعادات والتقاليد، يشكل وسيلة فعالة للهيمنة على سلوك الأفراد، وإقناعهم بالالتزام بالقيم والمعايير التي تضمن تماسك المجتمع واستقراره (ابن خلدون، 2008).

ويمتد أثر القرآن في الضبط الاجتماعي ليشمل الجانب النفسي والسلوكي للأفراد من خلال ما يعرف بالضبط الذاتي، إذ يلتزم الإنسان بتعاليم الدين ومبادئه نتيجة الإيمان بالرقابة الإلهية، والخوف من العقاب الأخروي، والسعي وراء الجزاء والثواب. وهذا يخلق نوعًا من الانضباط الذاتي الذي يتجاوز التأثيرات الخارجية، ويجعل الدين قوة خفية فعالة في ضبط سلوك الفرد وممارساته اليومية (العيس، 2024).

في المجمل يمثل القرآن منظومة متكاملة للضبط الاجتماعي تجمع بين البعد الروحي والأخلاقي والسلوكي والسياسي، ما يتيح له التأثير العميق والمستمر في حياة الأفراد والجماعات، ويضمن التوازن الاجتماعي والاستقرار العامر ويعزز الامتثال للمعايير الثقافية والاجتماعية، ويكفل استمرار النظام الاجتماعي عبر الأجيال (العيس، 2024).

وتأتي سورة الحجرات في مقدمة السور القرآنية التي عالجت قضايا السلوك الاجتماعي بصورة مباشرة وعميقة، حيث تناولت جملة من الضوابط الأخلاقية والاجتماعية التي تنظم العلاقات بين الأفراد والجماعات، مثل احترام الآخر، ونبذ السخرية واللمز والتنابز بالألقاب، والتحذير من سوء الظن والتجسس والغيبة. وقد عكست هذه التوجيهات وعيًا ربانيا بطبيعة النفس الإنسانية، وبآليات التفاعل الاجتماعي التي قد تؤدي إذا تُركت دون ضبط إلى تفكك المجتمع واضطراب بنيانه.

وانطلاقًا من ذلك تسعى هذه الدراسة إلى تحليل الضبط الاجتماعي في سورة الحجرات من منظور اجتماعي، من خلال الكشف عن أبعاده ومقاصده ودوره في بناء مجتمع متماسك قائم على القيم..

مشكلة الدراسة

على الرغم من أن سورة الحجرات قد أرست منظومة متكاملة للضبط الاجتماعي، تقوم على تهذيب سلوك الفرد وتنظيم العلاقات داخل المجتمع الإسلامي وفق أسس من الاحترام، والعدالة، وحفظ الكرامة الإنسانية، إلا أن الواقع الاجتماعي المعاصر يشهد مظاهر متعددة من التفكك الاجتماعي، وضعف الالتزام بالقيم الأخلاقية، وانتشار السلوكيات السلبية مثل الشائعات، والسخرية، وسوء الظن، والتعصب، وغياب ثقافة الحوار والإصلاح. ويعكس هذا الواقع فجوة واضحة بين المبادئ القرآنية المنظمة للسلوك الاجتماعي، وبين الممارسات الفعلية داخل المجتمعات المسلمة.

وتتمثل مشكلة هذه الدراسة في غياب الفهم التحليلي العميق للضوابط الاجتماعية التي تضمنتها سورة الحجرات، وضعف توظيفها كإطار مرجعي في معالجة المشكلات الاجتماعية المعاصرة. فرغم كثرة الدراسات التفسيرية للسورة، إلا أن معظمها ركز على الجوانب اللغوية أو الفقهية، دون إبراز البعد الاجتماعي التطبيقي، ودون ربط تلك الضوابط بالواقع الاجتماعي الراهن وتحدياته المختلفة.

وعليه، تسعى هذه الدراسة إلى معالجة هذه الإشكالية من خلال تحليل الضبط الاجتماعي في سورة الحجرات، والكشف عن أبعاده ومقاصده الاجتماعية، وبيان أثره في بناء الفرد وضبط سلوك الجماعة، مع محاولة استجلاء مدى

صلاحية هذه الضوابط القرآنية لمعالجة مظاهر الخلل الاجتماعي المعاصر، والمساهمة في تعزيز التماسك والاستقرار داخل المجتمع.

تساؤلات الدراسة

- ما مفهوم الضبط الاجتماعي في ضوء سورة الحجرات؟
- ما الضوابط والقيم الاجتماعية التي أرستها سورة الحجرات لتنظيم سلوك الفرد والجماعة؟
- كيف أسهمت هذه الضوابط في تحقيق التماسك والاستقرار الاجتماعي؟
- ما دور سورة الحجرات في معالجة مظاهر الخلل الاجتماعي مثل النزاع، والشائعات، والسخرية، وسوء الظن؟
- ما الآثار الاجتماعية المترتبة على إهمال هذه الضوابط القرآنية؟

أهداف الدراسة

- بيان مفهوم الضبط الاجتماعي من منظور قرآني من خلال سورة الحجرات.
- تحليل الآيات المتعلقة بتنظيم العلاقات الاجتماعية وتهذيب السلوك الإنساني.
- إبراز دور سورة الحجرات في بناء الفرد الصالح والمجتمع المتماسك.
- توضيح أثر القيم الأخلاقية الواردة في السورة في تحقيق الاستقرار الاجتماعي.
- تقديم تصور علمي يمكن الإفادة منه في مجال التربية والإصلاح الاجتماعي.

أهمية الدراسة

- إبراز البعد الاجتماعي لسورة الحجرات وأثره في ضبط السلوك الفردي والجماعي.
- الإسهام في إثراء الدراسات القرآنية ذات الطابع الاجتماعي والتحليلي.
- توضيح المنهج القرآني في معالجة المشكلات الاجتماعية والانحرافات السلوكية.
- تعزيز الوعي بأهمية القيم الأخلاقية في تحقيق التماسك والاستقرار داخل المجتمع.
- إفادة الباحثين والمربين والدعاة وصناع القرار من نتائج الدراسة في مجال الإصلاح الاجتماعي.
- تأكيد صلاحية التوجيهات القرآنية لكل زمان ومكان في بناء المجتمعات وضبطها.

حدود الدراسة

تقتصر حدود الدراسة على آيات سورة الحجرات ذات الصلة بالضبط الاجتماعي، مع التركيز على التحليل الاجتماعي دون التوسع في الجوانب الفقهية أو العقدية إلا بالقدر الذي يخدم الهدف الاجتماعي للدراسة.

المنهج المستخدم

تعتمد الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي، من خلال تحليل النص القرآني واستخراج دلالاته الاجتماعية مع الاستفادة من المنهج الاستقرائي في تتبع آيات السورة وربطها بمفاهيم علم الاجتماع، خاصة مفاهيم الضبط الاجتماعي، والتماسك المجتمعي.

الدراسات السابقة

دراسة مقدمة من الباحث مناري (2019) بعنوان :"نداءات سورة الحجرات، السخرية، التعاون، التعارف" هدفت الدراسة إلى دراسة تلك النداءات وتحليلها بقصد استخراج الهدايات القرآنية التي فيها، وبيانها للناس إسهاما في التعريف بأسس جانب من المشكلات الاجتماعية التي تمزق نسيج المجتمع، وبيان معالم العلاج القرآني لتلك المشكلات وأسسها.

ويتضح من نتائج البحث أن صلاح الفرد والمجتمع من أهم مقاصد القرآن الكريم عموما وسورة الحجرات خصوصا، وأن نداءات سورة الحجرات تتجه إلى التحلية والتخلية في نفس الوقت، لتطهير المجتمع وتنمية خيريته. وقد بينت تلك النداءات جانبًا كبيرًا من ركائز البناء الاجتماعي في النفس والحياة، كما أنها وضعت عددًا من التحصينات الاجتماعية التي تمنع من تسرب الخلل إلى أساسات الفاعلية الاجتماعية وتعالج ما قد يتسرب منه في أحوال الضعف والاستخفاء.

وقد عينت النداءات بعض منافذ الهدم المجتمعي: كالغيبة والنميمة والتنابز والتجسس والسخرية.. كأمثلة دالة على غيرها، ليتنبه المجتمع وقواه الفاعلة إلى تلك الموارد السلبية فيستهدون بهدي القرآن في صدها أو معالجتها وأمثالها، ويحصنون المجتمع من تلك الأمراض بسياجات الخير والنجاح والقوة. وهذه الهدايات لا تختص بزمن أو مكان وإنما هي هدايات مستمرة تقوم على تشخيص النفس والطبيعة الإنسانية التي لا تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة.

ومن أهم ما بينته تلك النداءات أن الإسلام دين عالمي يمكن أن يقدم الخير للبشرية جمعاء بغض النظر عن أجناسهم ومعتقداتهم. وأنه الدين الذي يتسنى له توحيد البشرية وإصلاحها.

أما دراسة حسبار(2022)المعنونة"القيم المجتمعية في منظور سورة الحجرات، تفسير المراغي" فإنها هدفت الدراسة الى العرف بالقيم المجتمعية المتواجدة في سورة الْحجرات من منظور تفسير المراغي. وطريقة معالجة وتحليلِ الدقائق في هذا البحث هي الطريقة الوصفية وتوصلت الدراسة الى أنه يوجد عدة قيم ورسالات أخلاقية في سورة الحجرات، وأشار الباحث إلى أنه يتوقع أن يؤدي حفاظ تلك القيم والعمل بها إلى تغيير حالة المجتمعِ إلى مجتمعٍ ذي أدب ولباقة وآمنٍ. ومستقرٍ وسالم ويعمه الرفاهية في حياة الأفراد.

في حين هدفت دراسة العمريطي(2025)، بعنوان" ضوابط العلاقات الإنسانية والاجتماعية في ضوء القرآن والسنة" إلى التعرف على المعايير والضوابط لبناء العلاقات الإنسانية والاجتماعية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية والكشف عن أسس وضوابط هذه العلاقات في القرآن الكريم او التعرف على أدب التعامل مع مختلف الفئات على المستوى الخاص كالعلاقات الأسرية أو العلاقات مع الأقارب أو على مستوى العلاقات العامة كعلاقات العمل أو الجي ا رن أو وذلك في ضوء القرآن والسنة او التعرف على أدب التعامل مع عامة الناس وذلك باستخدام المنهج الوصفي التحليلي وقد توصلت الدراسة لعدة نتائج منها: وضع القرآن الكريم والسنة النبوية نظام متكامل وشامل للعلاقات الإنسانية والاجتماعية من خلال ضوابط محددة من خلال تحديد حقوق وواجبات الأفراد الذين تربطهم بهم علاقات مثل العلاقات الأسرية أو علاقات العمل أو من خلال أدب التعامل مع الأخرين القريب منهم كالجار أو عامة الناس باعتبار وجودهم في مجتمع واحد للمحافظة على ترابط مجتمعهم ووحدته وإن التزام المجتمعات بمبادئ وقوانين العلاقات الإنسانية الإلهية مطلب مهم لتحقيق الاستقرار والقضاء على المشكلات الناتجة عن عدم الالتزام بالضوابط الأخلاقية للعلاقات الإنسانية

كما هدفت دراسة مصطفى(2025) بعنوان" أسس بناء المجتمع الإسلامي كما تصورها سورة الحُجُرات: دراسة تفسيرية موضوعية" الى استنباط أسس بناء المجتمع الإسلامي في ضوء سورة الحُجُرات، وبيان أثرها في بنائه بناء قويا راسخا. واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والاستنباطي، وتوصلت الدراسة الى أن تقديم أمر لله تعالى ورسول صلى لله عليه وسلم، على كل شيء، ووجوب الالتزام بتقوى لله تعالى، ووجوب الأدب مع الرسول صلى لله عليه وسلم، ووجوب التثبت من الأخبار، ووجوب الإصلاح بين المتخاصمين، وإعانة المظلومين، ودفع عدوان الباغين، ووجوب المحافظة على أخوة الإيمان، ووجوب تطهير المجتمع من مساوئ الأخلاق، وإرساء مبدأ المساواة في الإنسانية، وميزان التفاضل في الإسلام، ووجوب التحقق بالإيمان، وتحريم المَنِّ بالإسلام.

التعليق على الدراسات السابقة

من خلال تحليل الدراسات السابقة ومقارنتها بالدراسة الحالية الموسومة بـ »الضبط الاجتماعي في سورة الحجرات: دراسة تحليلية«، يمكن الوقوف على جملة من أوجه التشابه والاختلاف التي تُبرز موقع هذه الدراسة ضمن الحقل العلمي، وتُوضح إضافتها المعرفية.

تتشابه الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في اعتماد سورة الحجرات أساسًا لتحليل القيم والمبادئ المنظمة للعلاقات الاجتماعية، وفي الاتفاق على دور السورة في إصلاح الفرد والمجتمع ومعالجة الظواهر السلوكية السلبية. كما تشترك معها في استخدام المنهج الوصفي التحليلي والانطلاق من النص القرآني بوصفه مرجعًا للتقويم الاجتماعي.

إلا أن الدراسة الحالية تختلف عن الدراسات السابقة في زاوية المعالجة؛ إذ ركزت تلك الدراسات على النداءات القرآنية أو القيم المجتمعية أو أسس البناء

الاجتماعي بصورة عامة، بينما تنفرد الدراسة الحالية بتحليل سورة الحجرات في إطار مفهوم الضبط الاجتماعي، وبيان آلياته الوقائية والعلاجية، مما يسد فجوة علمية تتعلق بغياب تأصيل قرآني مباشر للضبط الاجتماعي في السورة.

مفهوم الضبط الاجتماعي

يمثل الضبط الاجتماعي أحد المفاهيم المركزية في علم الاجتماع، وقد ارتبط ظهوره العلمي بالقرن التاسع عشر، إلا أن جذوره الفكرية تمتد إلى إسهامات العلامة عبد الرحمن بن خلدون الذي أكد في مقدمته أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه غير أن نزعاته الغريزية والعدوانية تستدعي وجود آليات تضبط سلوكه وتحافظ على استقرار المجتمع وتماسكه (ابن خلدون). ويعد هذا الطرح من أوائل المحاولات الفكرية التي نبهت إلى ضرورة الضبط بوصفه شرطاً أساسياً لقيام الحياة الاجتماعية المنظمة.

وفي إطار الفكر السوسيولوجي الحديث، يشير بعض الباحثين إلى أن أوغست كونت (Auguste Comte) أسهم في بلورة مفهوم الضبط الاجتماعي من خلال تركيزه على دراسة النظام الاجتماعي، مبيناً الدور الذي تؤديه القيم الدينية والأخلاقية والمعرفة العلمية في تدعيم الاستقرار الاجتماعي والحفاظ على النظام ، كما قدم إميل دوركايم (Émile Durkheim 1984-1893) معالجة أعمق للمفهوم، من خلال تحليله للضمير الجمعي والقيم والمثل والنظم الأخلاقية والسياسية والقانونية، معتبراً إياها قواعد ملزمة للسلوك تعمل على تحقيق التماسك الاجتماعي والحد من مظاهر التفكك والانحراف.

وفي السياق ذاته تناول وليم سمنر (William G. Sumner) ،1906 الضبط الاجتماعي من زاوية العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية، معتبراً إياها أدوات غير رسمية لكنها شديدة الفاعلية في توجيه السلوك الفردي والجماعي،

وهو ما عرضه بشكل واضح في كتابه «الطرق الشعبية»، حيث أكد أن هذه الأعراف تشكل إطاراً ثقافياً ضابطاً للسلوك الاجتماعي.

وفي بداية خمسينيات القرن العشرين، أسهم تالكوت بارسونز) ، Talcott 1951) (Parsonsفي تطوير مفهوم الضبط الاجتماعي من منظور وظيفي، إذ اعتبره وسيلة أساسية لتحقيق التوازن والاستقرار داخل النسق الاجتماعي، من خلال تنظيم الأدوار الاجتماعية وضبط التفاعلات بين الأفراد بما يضمن استمرارية المجتمع ووحدته، غير أن الاهتمام بالمفهوم عرف نوعاً من التراجع خلال أواخر الستينيات، قبل أن يشهد عودة ملحوظة في تسعينيات القرن العشرين، خاصة مع أعمال داريو ميلوسي(Dario Melossi)(1991) ، الذي تناول الضبط الاجتماعي من منظور الدولة، معتبراً إياه أداة للسيادة السياسية وترسيخ السلطة، وهو ما أدى إلى توسيع أجهزة الضبط الاجتماعي الرسمية وتعزيز دورها في مراقبة السلوك الاجتماع

ويُقصد بالضبط الاجتماعي مجموعة الآليات والعمليات التي يستخدمها المجتمع لتحقيق التماسك الاجتماعي، وتمكين أفراده من أداء أدوارهم وتحقيق أهدافهم وفق المعايير والقيم السائدة، سواء كانت قانونية أو أخلاقية أو عرفية. كما يعكس هذا المفهوم طبيعة العلاقة بين الفرد والنظام الاجتماعي، ويبين مدى تقبل الأفراد وفئات المجتمع للأساليب التي يتم من خلالها فرض هذا الضبط، وهو ما يجعل الضبط الاجتماعي سمة ملازمة لجميع المجتمعات الإنسانية منذ مراحلها الأولى (روس، Ross، 1901)

يُعرَّف الضبط الاجتماعي في الأدبيات السوسيولوجية العربية بأنه مجموعة العمليات والآليات الرسمية وغير الرسمية التي يستخدمها المجتمع لتنظيم سلوك أفراده وتوجيهه بما يتوافق مع القيم والمعايير والقواعد السائدة، بهدف تحقيق النظام والاستقرار والتماسك الاجتماعي. ويشمل هذا الضبط القوانين

والتشريعات من جهة، والعادات والتقاليد والدين والضمير الاجتماعي من جهة أخرى، بحيث يعمل على الحد من الانحراف وضمان الامتثال الجماعي للمعايير المقبولة اجتماعياً. ويؤكد هذا التعريف على أن الضبط الاجتماعي ليس قهرياً فقط، بل قد يكون داخلياً نابعاً من وعي الفرد وقناعاته، مما يجعله أكثر فاعلية واستدامة في حفظ توازن المجتمع واستقراره (فياض، 2018)

كما يقصد الضبط الاجتماعي على أنه الإلزام الذي تفرضه النظم الاجتماعية على الأفراد لتحقيق الأهداف العامة للمجتمع، واستمراره في أمن واستقرار وتماسك، عبر وسائل رسمية وغير رسمية تعمل على تنظيم السلوك وضبطه وفق قيم ومعايير المجتمع(العثوم، 2021).

أنواع الضبط الاجتماعي

تتعدد أشكال الضبط الاجتماعي تبعًا لطبيعة الوسائل المستخدمة والجهات التي تمارسه، ويُعد هذا التنوع انعكاسًا لتعقّد البناء الاجتماعي واختلاف آليات تنظيم السلوك داخل المجتمع. ومن أبرز هذه الأنواع:

الضبط الاجتماعي الرسمي: الذي يظهر من خلال النظم والمؤسسات الرسمية التي يقرّها المجتمع بهدف فرض السيطرة المنظمة والهادفة على سلوك الأفراد. ويتجلى هذا النوع في النظام القانوني، والنظام التربوي، والنظام الاقتصادي، حيث تُوضع القوانين والتشريعات واللوائح الملزمة التي تنظّم العلاقات الاجتماعية وتحدد ما هو مقبول وما هو مرفوض سلوكيًا. ويُمارس هذا الضبط بطريقة مقصودة ومعلنة من خلال مؤسسات رسمية مثل الشرطة والمحاكم والسجون، ويهدف أساسًا إلى الحفاظ على النظام العام وضمان الامتثال للقواعد القانونية(غيث، 2008)

الضبط الاجتماعي غير الرسمي: ويقابل الضبط الاجتماعي الرسمي، وينشأ بصورة تلقائية داخل المجتمع دون تدخل مباشر من مؤسسات رسمية، ويعتمد على جملة من القيم والمعايير غير المقننة التي يتعارف عليها أفراد المجتمع. ويتحقق هذا النوع من الضبط من خلال آليات اجتماعية مثل الاستنكار الاجتماعي، ونقل الأخبار، وتداول الشائعات، والضغط المعنوي، ويستند إلى منظومة القيم الثقافية السائدة كالعقائد الدينية، والعادات والتقاليد، والأعراف، والرأي العام، إضافة إلى الدور المتزايد لوسائل الإعلام في توجيه السلوك الاجتماعي. ويُعد هذا النوع من الضبط أكثر تأثيرًا في الحياة اليومية للأفراد، لكونه مرتبطًا مباشرة بالتفاعل الاجتماعي والقبول أو الرفض الجماعي (وايف، 1979).

كما يُصنَّف الضبط الاجتماعي من حيث طبيعته إلى ضبط إيجابي وضبط سلبي.

الضبط الاجتماعي الإيجابي: يقوم على استخدام أساليب تشجيعية وتحفيزية، مثل المدح والثناء، والتقدير المعنوي، والرضا الجمعي، والحوافز المادية، التي تسهم في تعزيز التزام الأفراد بالقيم والمعايير والأنماط السلوكية المقبولة اجتماعيًا. ويعتمد هذا النوع من الضبط على مبدأ التعزيز الاجتماعي، حيث يدفع الأفراد إلى الامتثال الطوعي للقواعد بدافع الرغبة في القبول الاجتماعي وتحقيق المكانة والتقدير داخل الجماعة(فياض، 2018).

أما الضبط الاجتماعي السلبي: فيرتكز على استخدام وسائل الإكراه والردع، مثل الأوامر والنواهي، والتهديدات، والعقوبات الجزائية، التي تهدف إلى منع السلوك المنحرف وردع الأفراد عن مخالفة القيم والمعايير الاجتماعية. ويجعل هذا النوع من الضبط الفرد حريصًا على الامتثال خوفًا من العقاب أو الجزاء

الاجتماعي أو القانوني، ويُستخدم عادة في الحالات التي يفشل فيها الضبط الإيجابي في تحقيق الامتثال المطلوب (فياض، 2018).

ويبرز كذلك ما يُعرف بالضبط الشعوري أو الذاتي، وهو أعلى صور الضبط الاجتماعي تطورًا، إذ يقوم على توافق واعٍ ومرن يصدر عن ذات مدركة، حيث ينضبط الفرد سلوكيًا بدافع داخلي، إرضاءً للمجتمع، ورغبة في نيل التقدير والثناء، واحترامًا للقيم والعادات والتقاليد والأعراف والقوانين. ويعكس هذا النوع مستوى متقدمًا من التنشئة الاجتماعية، إذ يتحول الضبط من كونه مفروضًا خارجيًا إلى التزام ذاتي داخلي. ويحتاج الضبط الشعوري إلى دعم مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأساسية، مثل الأسرة، والمدرسة، وجماعة الرفاق، التي تسهم في ترسيخ القيم والمعايير وتحويلها إلى ضوابط داخلية تحكم سلوك الفرد) دوركايم، Durkheim، 1893/1984؛ بارسونز، Parsons، 1951).

التحليل الاجتماعي لآيات الضبط الاجتماعي في سورة الحجرات

تُعدّ سورة الحجرات من السور المدنية التي أسست منظومة متكاملة للضبط الاجتماعي، إذ عالجت بناء المجتمع المسلم من الداخل عبر ترسيخ قواعد ضبط السلوك الفردي والجماعي، وضبط العلاقات الاجتماعية على أساس من القيم الأخلاقية والدينية. وقد جاءت آياتها قصيرة في مبناها، عميقة في معناها، لتؤسس مجتمعًا يقوم على الاحترام، والانضباط، والتماسك، وحفظ الكرامة الإنسانية.

1. ترسيخ مرجعية السلطة الشرعية المتمثلة في الله ورسوله

تنطلق السورة في بدايتها من مبدأ أساسي في الضبط الاجتماعي، يتمثل في ترسيخ مرجعية السلطة الشرعية المتمثلة في الله ورسوله، حيث تنهى عن التقدم

بين يدي الله ورسوله قولًا أو فعلًا. ويُفهم من ذلك أن الضبط الاجتماعي في الإسلام يبدأ من الانضباط العقدي والفكري، إذ لا يستقيم سلوك الفرد داخل المجتمع ما لم يكن خاضعًا لمنظومة قيمية عليا تضبط توجهاته وقراراته. هذا التوجيه القرآني يؤسس لاحترام النظام، ويمنع الفوضى الفكرية والسلوكية، ويجعل الالتزام بالقانون والقيم نابعًا من قناعة داخلية لا من خوف خارجي فقط، يقول الله تبارك وتعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ ﴾ الحجرات: ١ الآية رقم 1

تعد هذه الآية التمهيدية في السورة أساسًا للضبط الاجتماعي والفردي، فهي تتضمن توجيهات دينية دقيقة تهدف إلى وضع المؤمن في إطار الاحترام والالتزام بالنظام الإلهي .التحذير من "التقديم بين يدي الله ورسوله" يشير إلى ضرورة الامتثال لأوامر الله وعدم تجاوز الحدود الشرعية، سواء في السلوك الشخصي أو في التعامل مع الآخرين. هذا الامتثال يعكس إدراك المؤمن لمرجعية الله في تنظيم الحياة الإنسانية، ويؤكد على أن أي تصرف أو حكم يجب أن يكون متوافقًا مع القيم القرآنية، ما يرسخ قاعدة أساسية للانضباط الأخلاقي والاجتماعي.

كما أن الآية تربط مباشرة بين الطاعة والوعي بالخطر الأخلاقي وبين مفهوم التقوى، مشيرة إلى أن الالتزام بهذه القيم ليس مجرد فعل شكلي، بل موقف داخلي يُترجم إلى سلوكيات عملية تحفظ كرامة الفرد وتحمي المجتمع من الفوضى والانحراف.

ومن منظور اجتماعي، تقدم هذه الآية قاعدة أساسية للضبط الاجتماعي، حيث تؤكد على ضرورة الالتزام بالمعايير التي تضمن احترام النظام العام والقيم

المشتركة" .عدم التقديم بين يدي الله ورسوله" يمكن فهمه على أنه دعوة لعدم التسرع في إصدار الأحكام أو اتخاذ القرارات التي قد تؤثر على الآخرين دون استشارة المبادئ الشرعية والأخلاقية. هذا يشكل إطارًا لمنع النزاعات أو الانحرافات الاجتماعية قبل حدوثها.

كما أن الآية تعزز مفهوم المسؤولية الفردية تجاه المجتمع، فالتقوى هنا ليست مسألة شخصية فحسب، بل تؤثر على العلاقات بين الناس وعلى النظام الاجتماعي ككل. من خلال الالتزام بما أمر الله به، يحافظ الأفراد على توازن المجتمع ويقللون من حالات الظلم أو الاستهتار بالآخرين.

2. النهي عن رفع الصوت فوق صوت النبي

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ ﴾ سورة الحجرات، الآية 2

تنتقل السورة في هذه الآية إلى ضبط العلاقة مع القيادة والرموز من خلال النهي عن رفع الصوت فوق صوت النبي وهو توجيه يحمل بعدًا اجتماعيًا عميقًا يتجاوز السياق التاريخي. فالآية ترسخ قيمة احترام القيادة والرموز الدينية والاجتماعية، وتحذر من السلوكيات التي تضعف هيبة المرجعية أو تخلّ بالنظام العام. ومن منظور اجتماعي، فإن احترام الرموز يسهم في حفظ الاستقرار الاجتماعي، ويمنع انتشار التمرد والسلوك العدواني داخل المجتمع.

ويتضح من هذه الآية حرص الدين على تحقيق مجتمع متماسك يسوده الانضباط والاحترام المتبادل. فالآية تمنع الجهر بالقول ورفع الصوت، وهو سلوك قد يؤدي إلى الفوضى والتوتر داخل الجماعة، كما أنه قد يُضعف مكانة القيادة الشرعية، ويؤثر سلبًا على الروح الجماعية.

وتحث الآية على الرقابة الذاتية للفرد، أي أن كل شخص يتحمل مسؤولية ضبط سلوكه وكلماته بما يضمن عدم الإضرار بالآخرين أو المجتمع ككل. ويشير هذا إلى أهمية الانضباط الداخلي كعنصر أساسي في الحفاظ على النظام الاجتماعي، فغياب السيطرة على السلوك يمكن أن يؤدي إلى النزاعات والتوتر، ويضعف ثقة الأفراد في القيادة والمؤسسات (ابن كثير، 1999، ص. 348).

كما تُبرز الآية البعد الوقائي للضبط الاجتماعي، إذ تمنع الأسباب التي قد تؤدي إلى تعطيل الأعمال الصالحة أو خلق بيئة غير صحية للتفاعل الاجتماعي. فالانضباط في الحديث والاحترام المتبادل يقللان من فرص النزاع بين الأفراد، ويعززان الانسجام الاجتماعي، وهو ما يحقق الاستقرار ويقوي الروابط بين أفراد المجتمع (الطبري، 2001، ص. 94؛ القرطبي، 2006، ص. 332).

بناء عليه يرى الباحث أن هذه التوجيهات تساهم في بناء ثقافة الاحترام داخل المجتمع، حيث يصبح الأفراد واعين لتأثير سلوكهم على الآخرين، ويتعلمون الالتزام بالقيم الأخلاقية التي تحفظ كرامة جميع الأعضاء

3. التحقق من الأخبار قبل نقلها:

تعالج السورة جانبًا مهمًا من الضبط الاجتماعي المتعلق بتداول المعلومات، وذلك من خلال النهي عن تصديق الأخبار دون تحقق، خاصة إذا كان مصدرها غير موثوق. هذا التوجيه يعكس وعيًا مبكرًا بخطورة الشائعات وأثرها المدمر على السلم الاجتماعي، حيث قد تؤدي إلى النزاعات وإثارة الفتن وتهديد وحدة المجتمع. ومن هنا يظهر أن التثبت في نقل الأخبار يُعد آلية وقائية للضبط الاجتماعي، تحمي المجتمع من الانزلاق إلى الفوضى والصراع، فقد جاء في سورة الحجرات، الآية رقم 6:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ ﴾ الحجرات: ٦ .

يشير ابن كثير(2008) إلى أن هذه الآية تحذر المؤمنين من الانجرار وراء الأخبار الكاذبة أو المعلومات غير المؤكدة، حيث قد يؤدي ذلك إلى ظلم الآخرين وإلحاق الضرر بهم دون وجه حق، ما يجعل الفرد مسؤولًا أمام الله والمجتمع عن أفعاله نتيجة نقل خبر غير محقق.

أما القرطبي(2003) فيرى أن التثبت من الأخبار يعكس عدالة المؤمن وحرصه على عدم التسبب في ضرر للآخرين، ويعد وسيلة فعالة للحفاظ على النظام الاجتماعي ومنع الفوضى الناتجة عن الإشاعات.

والتثبت يعني التأكد من صحة الأخبار ومصادرها قبل نقلها أو اتخاذ أي موقف بناءً عليها. ويعد هذا المبدأ من أركان الضبط الاجتماعي، لأنه يحد من انتشار الأكاذيب والشائعات التي قد تؤدي إلى النزاعات بين الأفراد والجماعات، ويضمن حماية المجتمع من الفوضى والفتن (العيس، 2024). إن الالتزام بهذا التوجيه القرآني يعكس درجة عالية من الوعي الاجتماعي، ويجعل الأفراد مسؤولين عن سلامة المعلومات التي يروّجون لها، وبالتالي يساهم في تعزيز الانضباط المجتمعي.

أثر الضبط الاجتماعي للآية

تعد الآية رقم (6) الكريمة في سورة الحجرات نموذجًا رائدًا للضبط الاجتماعي القائم على القيم الأخلاقية والدينية. فهي توجه الأفراد إلى توخي الحذر في نقل الأخبار والتأكد من صحتها قبل الإقدام على أي تصرف بناءً عليها، وتعزز عدة وظائف اجتماعية مهمة منها:

- منع النزاعات الاجتماعية :عندما يتحقق الأفراد من صحة الأخبار قبل تداولها ، تقل فرص إثارة الفتن والخلافات بين الجماعات المختلفة.
- تعزيز الانضباط الذاتي :يتحمل الفرد مسؤولية نقل المعلومات بطريقة صحيحة ، ما يرسخ مفهوم الضبط الذاتي والقيم الأخلاقية في المجتمع.
- حماية الحقوق الفردية والجماعية :يمنع التثبت من الأخبار انتشار الشائعات التي قد تضر بالسمعة أو الحقوق، ويضمن العدالة الاجتماعية.
- تقوية الثقة بين أفراد المجتمع :تساهم الممارسة الواعية للتثبت من الأخبار في تعزيز المصداقية والاحترام المتبادل بين الأفراد والجماعات (القرضاوي، 2012).

4. حل النزاعات بالعدل والمساواة

تبرز سورة الحجرات مبدأ الإصلاح الاجتماعي من خلال تناولها لمسألة النزاع بين المؤمنين، حيث تدعو إلى الإصلاح العادل بين المتخاصمين، وتؤكد على ضرورة الوقوف ضد الظلم ولو صدر من طرف من داخل الجماعة. ويعكس هذا التوجيه مفهومًا متقدمًا للضبط الاجتماعي يقوم على العدالة لا على العصبية أو الانحياز الأعمى. فالضبط هنا لا يهدف فقط إلى إنهاء النزاع بل إلى معالجة أسبابه وضمان عدم تكراره بما يعزز التماسك الاجتماعي، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المبدأ بشكل واضح في السورة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ ﴾ الحجرات: ٩.

تشير هذه الآية إلى ضرورة تدخل المجتمع أو القادة بالوسائل السليمة لإصلاح النزاعات بين الأفراد أو الجماعات، على أن يكون ذلك وفق أسس العدل والمساواة دون تحيز لأي طرف، وهو ما يعكس حرص الدين على حفظ وحدة المجتمع ومنع الفتنة والاضطراب الداخلي. ويظهر من النص القرآني أن الضبط

الاجتماعي لا يقتصر على التوجيه الفردي فحسب، بل يمتد إلى تنظيم العلاقات الجماعية وتطبيق العدالة في حل الصراعات بما يحقق الانسجام والاستقرار.

والعدل في النزاع يعني إنصاف جميع الأطراف وعدم التحيز لطرف على حساب آخر وتطبيق الحقوق والواجبات بطريقة متساوية وعادلة. أما المساواة فتشير إلى معاملة جميع الأفراد والمجموعات على قدم المساواة بغض النظر عن مكانتهم أو انتماءاتهم، ما يضمن ألا يشعر أحد بالظلم أو الإقصاء. وتؤكد الدراسات الاجتماعية على أن غياب العدل والمساواة في حل النزاعات يؤدي إلى تفكك الروابط الاجتماعية، وانتشار الفوضى والفتن بين الأفراد والجماعات (العيس، 2024).

أثر الضبط الاجتماعي للآية

تعمل هذه الآية على تحقيق عدة وظائف اجتماعية مهمة:

- **تعزيز الانضباط الاجتماعي** :يلتزم الأفراد والجماعات بحل خلافاتهم ضمن إطار من العدالة، ما يحد من الفوضى والنزاع.
- **تقوية الروابط الاجتماعية** :يحافظ الالتزام بالعدل على الثقة المتبادلة بين الأفراد والجماعات، ويعزز روح التعاون والتضامن.
- **ضمان المساواة والعدالة** :يؤكد القرآن على أن الحقوق والواجبات يجب أن تطبق على الجميع دون تحيز، مما يقلل من مظاهر التفرقة أو الظلم،(القرضاوي، 2012)
- **تحقيق الاستقرار العام** :يساهم الالتزام بالإصلاح العادل في ضبط العلاقات الجماعية، ويمنع انتشار الفتن التي تهدد التماسك الاجتماعي.

5. **احترام الآخرين وعدم السخرية**:

يعد احترام الآخرين وعدم السخرية منهم أحد أهم الضوابط الاجتماعية التي تضمن التماسك الاجتماعي واستقرار العلاقات بين الأفراد. وقد أكد القرآن الكريم على ضرورة الحفاظ على كرامة الإنسان وحقه في الاحترام، ومن أبرز الآيات التي تناولت هذا الموضوع ما جاء في سورة الحجرات، الآية 11:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ الحجرات: ١١

تعد هذه الآية من أهم الآيات التي تعكس بوضوح مفهوم الضبط الاجتماعي في الإسلام، إذ تتناول سلوك السخرية والاستهزاء بين الناس وتحذّر منه باعتباره تهديدًا للتماسك الاجتماعي والأخلاقي. فهي تؤكد على ضرورة احترام الآخرين وحفظ كرامتهم والابتعاد عن أي سلوك قد يؤدي إلى إذلالهم أو تحقيرهم.

كما يتضح من الآية أن الضبط الاجتماعي القائم على الاحترام ليس مجرد توجيه أخلاقي، بل يمثل آلية عملية لضمان استقرار المجتمع وتحقيق العدالة والتماسك بين أفراده .فالالتزام بهذه القيم يحافظ على الروابط الاجتماعية، ويعزز شعور الأفراد بالانتماء إلى مجتمع يحترم الحقوق ويقدر الكرامة الإنسانية، مما يسهم في بناء مجتمع متوازن ومستقر

وتحث الآية- من منظور الضبط الاجتماعي- الأفراد على الالتزام بمبدأ الاحترام المتبادل وعدم الاستعلاء على الآخرين. فقد أشار ابن كثير أن السخرية تشكل من أخطر السلوكيات التي تؤدي إلى الفرقة بين الناس ونشوء النزاعات، فهي تزرع الكراهية والعداء وتؤدي إلى فقدان الثقة بين أفراد المجتمع (ابن كثير، 1999، ص. 347). ويؤكد الطبري أن النهي عن السخرية لا يقتصر على الأفعال الظاهرة فحسب، بل يشمل النية والمشاعر، إذ يمكن أن

تتولد العدوانية من تحقير الآخرين، مما يخل بالتوازن الاجتماعي (الطبري، 2001، ص. 92).

ويشير القرطبي إلى أن الغاية من هذه الآية هي تعزيز الأخلاق الاجتماعية وإرساء قاعدة العدالة والمساواة بين الناس، بحيث لا يترتب على اختلاف المستوى الاجتماعي أو الاقتصادي أو العلمي سلوك احتقاري من أحد تجاه الآخر، فالاختلاف لا يبرر الاستهزاء، لأن الإنسان قد يكون أقل من الآخر في بعض الجوانب لكنه قد يتفوق في أبعاد أخرى (القرطبي، 2006، ص. 330).

كما يوضح سيد قطب أن السخرية والازدراء من القيم السلوكية المرفوضة في الإسلام، وأن الالتزام بالآداب القرآنية في التعامل بين الناس يؤدي إلى ضبط العلاقات الاجتماعية ويخلق مجتمعًا متماسكًا يسوده الاحترام والتعاون (قطب، 2003، ص. 3278). ويشير الزحيلي إلى أن منع السخرية يحقق نوعًا من الوقاية المجتمعية، إذ يقلل من أسباب النزاع والفتنة، ويعزز الانضباط الذاتي لدى الأفراد في اختيار كلماتهم وسلوكهم (الزحيلي، 2011، ص. 220).

من هنا، يظهر أن الضبط الاجتماعي في هذه الآية يركز على أربع نقاط رئيسية:

1. حفظ كرامة الإنسان، ومنع التعالي والاستهزاء بالآخرين.
2. تعزيز المساواة والعدالة بين الأفراد في المجتمع، بعيدًا عن التمييز السلبي.
3. الوقاية من النزاعات والفتن الناتجة عن السخرية والاستهزاء.
4. ترسيخ الانضباط الداخلي لدى الفرد، بحيث يتحكم في أقواله وأفعاله بما يتوافق مع القيم الإسلامية (عمارة، 1998، ص. 85؛ عزي، 2007، ص. 120).

6. النهي عن اللمز والتنابز بالألقاب

في سياق بناء الأخلاق الاجتماعية الحميدة فإن هذه الآية تنهي عن جملة من السلوكيات السلبية التي تهدد وحدة المجتمع، مثل اللمز الذي يعني الإشارة إلى عيوب الآخرين بطريقة سلبية أو التلميح لهم بما يسيء إلى كرامتهم، وهو سلوك يُضعف الروابط الاجتماعية ويؤدي إلى نشوء مشاعر العداء أو الحقد بين الناس. وكذلك التنابز بالألقاب السيئة، لأن هذه السلوكيات وإن بدت بسيطة إلا أن أثرها الاجتماعي خطير إذ تؤدي إلى الإهانة وكسر الكرامة وإثارة الأحقاد، فقد قال الله تعالي: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ ﴾ الحجرات: ١١

وتشكل هذه الآية قاعدة أساسية للانسجام والتوازن بين أفراد المجتمع. لأن السلوكيات السلبية تؤدي إلى إضعاف الروابط الاجتماعية، وتولد مشاعر الحقد والضغينة، وقد تتطور إلى نزاعات وصراعات تؤثر على استقرار المجتمع.

كما تؤكد الآية على ضرورة ضبط الكلام والسلوك بين الأفراد، إذ أن إطلاق الألقاب المسيئة أو لوم الآخرين بشكل جارح يعتبر نوعًا من الاعتداء على كرامة الفرد. الالتزام بهذه القيم يساهم في بناء مجتمع يسوده الاحترام المتبادل، ويعزز الثقة بين أفراده، وهو ما يمثل أحد ركائز الضبط الاجتماعي في الإسلام.

كما تحذر الآية من السلوكيات التي قد تقوض الثقة بالنفس لدى الأفراد وتؤثر على التكافل الاجتماعي، فهي تضع معيارًا للخطاب الأخلاقي بين الناس، بحيث يصبح الاحترام والاعتدال في التعامل مع الآخرين جزءًا من هوية

المجتمع المسلم. كما أن الربط بين المخالفة والظلم يوضح أن أي تقصير في الاحترام يمكن أن يُعد انتهاكًا للقيم الاجتماعية والدينية معًا.

5. اجتناب الظن السيئ والتجسس والغيبة:

قَالَ تَعَالَىٰ: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ الحجرات: ١٢. تشكل هذه الآية نموذجًا واضحًا للضبط الاجتماعي من منظور علم الاجتماع، حيث تسلط الضوء على مجموعة من السلوكيات التي تؤثر بشكل مباشر على استقرار المجتمعات واستمرار العلاقات الاجتماعية الصحية بين الأفراد. فهي تحذر من الظن السيء والتجسس والغيبة، وهي سلوكيات تؤدي إلى زعزعة الثقة، وإضعاف الروابط الاجتماعية، وخلق الانقسامات بين الأفراد.

أول هذه السلوكيات هو الظن السيء، الذي يشير إلى إصدار الأحكام على الآخرين دون دليل، ويؤدي إلى زيادة الشكوك والتوتر بين أفراد المجتمع. وعلماء الاجتماع يعتبرون أن هذا النوع من السلوك يقوض الترابط الاجتماعي ويضعف الثقة المتبادلة، وهو ما يشكل تهديدًا لاستقرار الجماعة (Durkheim, 1982, p. 102).

ثانيًا، التجسس على الآخرين ينتهك خصوصية الأفراد، ويخلق جوًا من عدم الأمان الاجتماعي. وفقًا لبيرجر ولوكمان، احترام خصوصية الآخرين جزء أساسي من النسيج الاجتماعي، وأي اختراق لهذه الحدود يضعف التماسك الاجتماعي ويؤدي إلى التوتر بين أفراد المجتمع (Berger & Luckmann), 1966, p. 56)

ثالثًا، الغيبة أو الكلام عن الآخرين بما يسيء لهم يمثل تهديدًا مباشرًا للانسجام الاجتماعي، إذ يولد العداء والانقسام، ويؤثر على التعاون بين الأفراد. ويرى مورتن أن مثل هذه الممارسات تؤدي إلى ديناميكيات اجتماعية سلبية، وتضعف الروابط القائمة على الثقة والتعاون بين الأفراد.(Merton 1968, p. 134) وتعكس هذه الآية توجهًا واضحًا نحو حماية المجتمع من الفساد الأخلاقي والاجتماعي الذي تسببه الغيبة والنميمة، إذ يُشبَّه أثر الغيبة بأكل لحم الأخ الميت، وهو تشبيه يبرز حجم الضرر النفسي والاجتماعي الذي يمكن أن تلحقه هذه الأفعال بالناس. ويؤكد الإسلام من خلال هذا التحذير على ضرورة الحفاظ على كرامة الأفراد، وحماية سمعتهم، ومنع أي سلوك يؤدي إلى التفكك الاجتماعي أو النزاع بين الجماعات.

يشير بارسونز إلى أن الالتزام بهذه الضوابط الاجتماعية يعزز الانسجام والتوازن داخل المجتمع، ويؤكد على أن القيم والسلوكيات التي تحمي الآخرين من الإيذاء النفسي والاجتماعي تعتبر من أساسيات التكيف الاجتماعي واستقرار الجماعة .(Parsons, 1951, p. 79) كما يوضح جيدنز أن ضبط السلوك الفردي وفق المعايير الاجتماعية يساهم في الحفاظ على النظام الاجتماعي والتقليل من النزاعات بين الأفراد.

ويرى الباحث أن هذه الآية تؤكد على أن الضبط الاجتماعي يعتمد على مسؤولية الفرد في ضبط أقواله وأفعاله، وحماية سمعة الآخرين، وتعزيز الثقة المتبادلة بين أفراد المجتمع، بما يضمن تماسك الجماعة واستقرار العلاقات الاجتماعية، ويحول دون تفكك النسيج الاجتماعي أو ظهور النزاعات والصراعات بين أفراد المجتمع.

أثر الضبط الاجتماعي للآية

تعمل القيم التي حثت عليها الآية على تحقيق عدة وظائف اجتماعية:

- **تعزيز الانضباط الذاتي** :يجعل الفرد يراقب كلامه وتصرفاته أمام الآخرين، ويبتعد عن السلوكيات المدمرة للعلاقات الاجتماعية.
- **ضمان العدالة والمساواة** :يحمي كل فرد من التعرض للظلم أو الإساءة بالغيبة أو النميمة أو التجسس.

6. المساواة بين الناس والتقوى

تعد المساواة بين البشر أحد أهم الضوابط الاجتماعية التي نص عليها القرآن الكريم، حيث تؤكد سورة الحجرات على أن التفاضل بين الناس لا يكون باللون أو النسب أو المكانة الاجتماعية، بل بالتقوى والعمل الصالح. فقد جاء في الآية 13: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ الحجرات: ١٣.

وتبلغ السورة ذروة خطابها الاجتماعي في تأكيد مبدأ المساواة الإنسانية، حيث تقرر أن التفاضل بين الناس لا يكون بالعرق ولا النسب، وإنما بالتقوى. وهذا المبدأ يشكل حجر الأساس للعدالة الاجتماعية، ويقضي على جميع أشكال التمييز التي تُعد من أخطر معوقات الاستقرار الاجتماعي. ومن خلال هذا التوجيه، تُرسخ سورة الحجرات ضبطًا اجتماعيًا قائمًا على الكرامة الإنسانية والمساواة، ما يعزز الانسجام والتعايش داخل المجتمع.

وتشير الآية كذلك إلى أن الأصل في البشر هو المساواة، وأن الفروقات الاجتماعية والثقافية والجغرافية يجب ألا تتحول إلى مصدر للتمييز أو التعالي، بل ينبغي أن تكون سببًا للتعارف والتعاون بين المجتمعات. وتبرز الآية أيضًا التقوى كمعيار أساسي للتفاضل، أي التمسك بالقيم الأخلاقية والالتزام بتعاليم الله في الحياة اليومية، وهو ما يعزز الضبط الاجتماعي من خلال توجيه سلوك الأفراد نحو الخير والصلاح.

والمساواة بين الناس تعني إعطاء كل فرد حقوقه دون تمييز، والاعتراف بالكرامة الإنسانية للجميع مهما اختلفت أصولهم أو ظروفهم الاجتماعية وذلك من أجل تعزيز الانسجام الاجتماعي، ومنع النزاعات الناتجة عن التفرقة أو العنصرية أو التحيز الطبقي، لأن المساواة تشكل قاعدة للعدالة الاجتماعية والضبط المجتمعي (العيس، 2024).

الخاتمة: النتائج والتوصيات

أظهرت نتائج الدراسة أن سورة الحجرات تمثل نموذجًا قرآنيًا متكاملًا للضبط الاجتماعي يقوم على معالجة السلوكيات المهددة لتماسك المجتمع من جذورها النفسية والاجتماعية مما يسهم في تعزيز التماسك الاجتماعي وحماية العلاقات الإنسانية من التفكك، ويمكن حصر نتائج الدراسة في النقاط التالية.

أولًا: النتائج الرئيسة للدراسة

- تبيَّن أن سورة الحجرات شكَّلت منظومة متكاملة للضبط الاجتماعي عالجت السلوك الفردي والجماعي في آنٍ واحد.
- أكَّدت الدراسة أن الضبط الاجتماعي القرآني قام أساسًا على الضبط الذاتي القيمي، لا على الإكراه الخارجي.
- أظهر التحليل أن النهي عن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب وسوء الظن والتجسس والغيبة استهدف حماية الثقة الاجتماعية ومنع تفكك الروابط بين أفراد المجتمع.
- أوضحت النتائج أن معالجة الدوافع النفسية الداخلية، مثل الظنون السلبية، مثَّلت مدخلًا وقائيًا للحد من النزاعات الاجتماعية.

- كشفت الدراسة عن وجود تقاطع واضح بين الضبط الاجتماعي في سورة الحجرات وبعض الطروحات السوسيولوجية الحديثة المتعلقة بالتماسك الاجتماعي والتنظيم القيمي.

ثانيًا: الدلالات الاجتماعية للنتائج

- تعزيز قيم الاحترام المتبادل وصون الكرامة الإنسانية كأساس للاستقرار المجتمعي.
- ترسيخ مفهوم المسؤولية الفردية داخل الجماعة بوصفها ركيزة للسلوك الاجتماعي المنضبط.
- دعم بناء مجتمع متماسك قائم على الثقة والتعاون بدل الشك والصراع.
- تأكيد البعد الوقائي للضبط الاجتماعي القرآني مقارنة بالمعالجات العقابية اللاحقة.

ثالثا: التوصيات

- إدماج قيم سورة الحجرات في المناهج التربوية وبرامج التنشئة الاجتماعية.
- توظيف الضبط الاجتماعي القرآني في معالجة قضايا معاصرة مثل التنمر وخطاب الكراهية والتفكك الاجتماعي.
- تشجيع الدراسات البينية التي تجمع بين علم الاجتماع والدراسات القرآنية.
- تعزيز الوعي المجتمعي بدور القيم الدينية في تحقيق السلم الاجتماعي.

رابعا: المقترحات

- إجراء دراسات تحليلية لسور القرآنية الأخرى ذات البعد الاجتماعي.
- تنفيذ بحوث ميدانية تقيس أثر القيم القرآنية في تعزيز التماسك الاجتماعي.

- مقارنة الضبط الاجتماعي في القرآن الكريم بنظريات الضبط الاجتماعي في الفكر السوسيولوجي الغربي.

قائمة المراجع

1. القرآن الكريم.
2. حسبار(2022)، القيم المجتمعية في منظور سورة الحجرات، تفسير المراغي، بحث مقدم للحصول على درجة الدبلوم من المعهد العالي للدراسات الإسلامية الأسعدية سنكان واجو
3. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد .(2004) .*مقدمة ابن خلدون* .بيروت: دار الفكر.
4. الخشت، محمد عثمان .(2010) .*مدخل إلى علم الاجتماع الديني* (ص. 160). القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر.
5. الزحيلي، وهبة .(2011) .*التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج* (ج. 26، ص. 224). دمشق: دار الفكر.
6. سيد قطب .(2003) .*في ظلال القرآن* (ج. 6، ص. 3280). القاهرة: دار الشروق.
7. عزي، عبد الرحمن .(2007) .*الضبط الاجتماعي في الإسلام* (ص. 120). الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
8. عزالدين صالح مناري (2019)، نداءات سورة الحجرات، السخرية، التعاون، التعارف، مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية،العدد(7)، جامعة أم القرى

9. العمريطي، إيمان إبراهيم (2025)، ضوابط العلاقات الإنسانية والاجتماعية في ضوء القرآن والسنة، المجلة الالكترونية الشاملة متعددة التخصصات، العدد(82) لشهر (5).

10.العيس، م. (2024). دور الدين في الضبط الاجتماعي. *مجلة المعرفة*، العدد 18.

11.العتوم،هديل(2021)، الضبط الاجتماعي في علم الاجتماع، مقال منشور في موقع أي عربي على الرابط التالي:https://n9.cl/v14am تم الاطلاع 20 ديمسبر 2025.

12.غيث، محمد عاطف .(2008) .قاموس علم الاجتماع .القاهرة: دار المعرفة الجامعية

13.فياض،حسام الدين محمود،(2018)، الضبط الاجتماعي (تعريفه ، أهميته ، أنواعه ، آلياته ، نظرياته) مكتبة نحو علم اجتماع تنويري

14.القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد .(2003) .*الجامع لأحكام القرآن*. القاهرة: دار الفكر العربي.

15.القرطبي، محمد بن أحمد .(2006) .*الجامع لأحكام القرآن* (ج. 16، ص. 334). القاهرة: دار الكتب المصرية.

16.القرضاوي، يوسف .(2012) .*الحلال والحرام في الإسلام* .القاهرة: مكتبة وهبة.

17.ابن كثير، إسماعيل .(2008) .*تفسير القرآن العظيم* .بيروت: دار الفكر.

18.مصطفى، إنعام بنت محمد (2025)، أسس بناء المجتمع الإسلامي كما تصورها سورة الحُجُرات: دراسة تفسيرية موضوعية، المجلة العلمية بكلية الآداب، العدد(58) جامعة تبوك.

19.وافي، علي عبد الواحد .(1979) .**علم الاجتماع** .القاهرة: دار نهضة مصر.

المراجع الأجنبية

1. Brown, R. (1961). *African religion*. Free Press.
2. Comte, A. (1975). *The positive philosophy*. AMS Press.
3. Coson, M. (1978). *Sociology of religion*. Routledge & Kegan Paul.
4. Durkheim, E. (1912). *The elementary forms of religious life*. George Allen & Unwin.
5. Durkheim, E. (1951). *Suicide: A study in sociology* (J. A. Spaulding & G. Simpson, Trans.). Free Press. (Original work published 1897)
6. Durkheim, E. (1984). *The division of labor in society* (W. D. Halls, Trans.). Free Press. (Original work published 1893)
7. Gurvitch, G. (1964). *The sociology of law*. Philosophical Library.
8. MacIver, R. M., & Page, C. H. (1961). *Society: An introductory analysis*. Holt, Rinehart and Winston.
9. Melossi, D. (1991). *The state of social control*. Polity Press.
10. Parsons, T. (1951). *The social system*. Free Press.
11. Ross, E. A. (1901). *Social control: A survey of the foundations of order*. Macmillan.
12. Spencer, H. (1896). *Principles of sociology*. D. Appleton & Co.
13. Sumner, W. G. (1906). *Folkways: A study of the sociological importance of usages, manners, customs, mores, and morals*. Ginn and Company.
14. Weber, M. (1920). *Economy and society*. University of California Press.